

دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية (*)

مراجعة نوري عباس العلواني

إن اهتمام المؤلف في دراسة التطورات والتي شهدتها المدن العربية في حالتها التمدنية الحالية لابد أن يرجع إلى تراث الأمة العربية الإسلامية الحضاري، سواء في العراق أم في المدن العربية القديمة، لكي يكون هناك تواصل حضاري بين الماضي والحاضر والمستقبل.

لقد تناول المؤلف د. عبد الجبار ناجي في الباب الأول الاتجاهات الحديثة في دراسة المدن العربية الإسلامية، وفي الباب الثاني تناول: مفهوم العرب للمدينة (معنى المدينة ومقوماتها ومعاييرها في المصادر المختلفة).

(الدراسات المقارنة للتمدن العربي الإسلامي)

لقد تطرق المؤلف إلى المدن العربية والأوروبية لأنها جميعاً شهدت تطورات ومتغيرات اقتصادية وعمرانية. وتأكيداً على ذلك جعل (توينبي) يطلق هذا التطور الحديث في كتابه الموسوم (المدن في حركة تطورها بـ «التفجر

(*) عبد الجبار ناجي: دراسة في تاريخ المدن العربية الإسلامية. بغداد ١٩٨٦.

التمدني» تشبيهاً بالتفجر السكاني). إن حقل الدراسات المقارنة للتمدن هو حقل حديث. لقد أسهم الباحثون الاجتماعيون الأوروبيون والأمريكان، وانقسموا في توجيهاتهم في هذه الدراسات المقارنة إلى اتجاهين:

أ - الاتجاه الذي يضع الجوانب الوصفية للمدن والظروف الخارجية كأساس لعقد المقارنة بين العقبات، ولم يتم التركيز على داخل المدن الحديثة لتشخيص الصعوبات والأزمات الاقتصادية والاجتماعية.

ب - الاتجاه الذي يعنى بالدراسات البنوية للتمدن والتركيز على العوامل البيئية والاجتماعية. ولقد اختار الأستاذ (آدمز Adams) منطقتين جغرافيتين: مجتمع وادي الرافدين خلال فترة ما قبل الميلاد، ومجتمع (المكسيك)، وقد أخضع للمقارنة، عينة تمدنية عربية قديمة وتمدن أمريكي من أجل العثور على عناصر التشابه والتوافق. ومن جانب آخر، أكد الباحث فوستال (Fostal) على أن العامل الديني يعد رابطاً بين السكان في أي مدينة. أما دراسة جانيت أبولغد في دراستها للمدن (القاهرة، تونس والرباط) ابتدأت من العناصر المتشابهة في الخلفيات التاريخية والتباينات والاختلافات.

ما هي المدينة؟

حدّد الباحث الاجتماعي (هوزر Hauser) في تحديده شروط التمدنية، توافر الكثافة في حجم السكان والتقدم التكنولوجي ومدى الإمكانيات والسيطرة على الظروف الطبيعية وتطورها وتطور المؤسسات الإنتاجية والاقتصادية والسياسية.

ولكن (أشلي) الألماني أكد في تحديده وضع المدن العربية الإسلامية على المعايير التالية:

١ - توافر الأمن والاستقرار وهيمنة السلطة السياسية على النشاطات التجارية.

٢ - وجود حصن.

٣ - وجود قانون يشمل برعايته المصلحة العامة .

أما معايير ماكس فيبر فهي خمسة :

- ١ - أن يكون حصناً .
- ٢ - يتوافر سوق في المدينة .
- ٣ - تتوافر محكمة .
- ٤ - وجود نقابة .
- ٥ - أن تتمتع بحكم ذاتي .

موقف القدامى من المدينة :

لقد حدد المؤرخون والجغرافيون العرب المواطن التي أطلق عليها اصطلاحاً المدينة . فالجغرافي المقدسي وضع في كتابه الآراء المختلفة، الشرعية منها والتمدنية، بشأن هذا الموضوع، إذ يذكر أن المصر في رأي الفقهاء ويقصد به (كل بلد جامع تقام فيه الحدود ويحكمه أمير ويقوم بنفقه ويجمع (رستاقه)، ويبيدي وجهة نظره معقّباً على ذلك بأن المصر هو كل بلد يحكمه السلطان الأعظم ويجمع فيه الدواوين وتقلد منه الأعمال . أما ياقوت الحموي في تحديده العناصر والتي تكوّن المدينة حجم السكان وتوافر الكثافة السكانية، وجود المسجد الجامع والمنبر، توافر المياه الصالحة للشرب، إنتاج اقتصادي زراعي أو تجاري . أما ابن خلدون فيؤكد على أهم الخصائص التي تتوافر في المدينة (إعلم أن قراراً تتخذة الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف) لابد من أن تتوافر عدة أمور منها: (١) دفع المضار، (٢) الاحتماء من الهجمات، (٣) جلب المنافع).

إن أهمية هذه المعايير في دراسة المدن العربية ترجع إلى روابط تاريخية واجتماعية وسياسية وقومية مشتركة تربط المدن العربية بعضها ببعض على عكس المدن الأوروبية؛ فقد ذكر الأستاذ ألبرت حوراني أن هناك مدناً عربية كانت مراكز تجارية تقع على الطرق البرية أو المرافئ النهرية عرفت بالمدن التجارية تعتمد على نقل البضائع لا على إنتاجها، وهناك مدن دينية أو إدارية . حاول

(أرنولد توينبي) المقارنة بين المدن الأوروبية والمدن العربية الإسلامية مشيراً إلى وجود المسجد الجامع من المباني في المؤسسات المدنية المهمة.

لقد تميزت الدراسات الاستشراقية الفرنسية باعتبارها أكثر الدراسات في حقل التمدن العربي:

١ - إنها ركزت على الجوانب الفكرية والاجتماعية من التراث العربي، وقد تأثرت فرنسا في حركة الانسكلوبيديين وحركة التنوير، زيادة على ذلك ما جاءت به الثورة الفرنسية من أفكار سياسية واقتصادية واجتماعية.

٢ - الاهتمام بدراسة المدن الإسلامية متأثراً بتطور المدن الفرنسية والإيطالية، فأسهمت باريس وجنوه والبندقية في فترة الانتعاش التجاري والاقتصادي لمنطقة البحر المتوسط.

٣ - ركزت على دور المؤسسات المدنية كالنقابات والأصناف أو البنوك داخل المدن العربية.

تعدد الاتجاهات والدراسات الأجنبية عن المدن العربية الإسلامية:

أ - الاتجاه الإيجابي المؤيد لمدينة عربية ذات كيان مستقل للمستشرق الفرنسي (لويس ماسينيون) وجعلها على الشكل الآتي:

١ - تستند المدينة الإسلامية إلى أربعة عناصر، العنصر الأول: (المالي والصرف). العنصر الثاني: القيسارية، والثالث هو السوق، أما العنصر الرابع فوجود المدرسة أو الجامعة ملاصقة للجامع في المدينة.

٢ - الأصناف والنقابات التي تتوزع في المراكز والتجمعات السوقية.

بقيت أصداء الاتجاه الإيجابي عن وضع المدينة العربية الإسلامية. وقد تناولها مثلاً (موريس لومبار) وأشاد بالنتائج التمدنية التي جلبها الإسلام معتبراً إياها من أعظم التطورات المدنية، وأن التمدن الإسلامي يعد أكثر بعداً وتأثيراً من التمدن الروماني.

ب - المعارض: أفرزت دراسات المستشرقين موقفاً سلبياً:

- ١ - تجريد المدن العربية من أصالتها.
- ٢ - أنها مدن رومانية ويونانية من حيث العمر.
- ٣ - أنها مدن غير منظمة.

ومن هؤلاء المستشرقين (سوفاجيه وهنري وبلانول)، وجميع آراء هؤلاء لا تستند إلى الجانب العلمي وجميع آرائهم منقولة ومتطابقة ومقتبسة والرد عليها ببساطة. فيذكر الطبري (أن سعد بن أبي وقاص عندما صمم على بناء مدينة الكوفة ووضع خططها عين أبا الهياج بن مالك لهذا الأمر وزوّده بكتاب الخليفة عمر بن الخطاب والذي يحتوي على إرشادات وتخطيط الشوارع الرئيسية والفرعية وأنه أمر بالمنهاج وهي الطرق الرئيسية أربعين ذراعاً وما يليها ثلاثين ذراعاً وما بين ذلك عشرين وبالأزقة سبعة أذرع وفي القطائع ستين ذراعاً إلا الذي لبني ضبة).

وأورد الماوردي نصاً حول تأسيس البصرة فقال: وقد مصّرت البصرة على عهد عمر فجعل عرض الشارع الأعظم ستين ذراعاً وجعلوا عرض ما سواها من الشوارع عشرين ذراعاً وجعلوا عرض الزقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لمربط خيولهم وقبور موتاهم ولم يفعلوا ذلك إلا عن طريق رأي اتفقوا عليه ونص لا يجوز خلافه.

ج - دراسة المستشرقين في الجوانب الجديدة في المدن دراسة ماسينيون عن خطط الكوفة والبصرة وعن توزيع الخطط القبلية وتحديد عناصرها. والمستشرق (سوفاجيه) في دراسته عن مدينة حلب في الفترات السلجوقية والرومانية والإسلامية وقسمها تقسيماً سياسياً.

د - الاتجاه الرابع في الدراسات عن المدن العربية تبحث عن الحركات الشعبية في المدن الإسلامية لحركة العياريين والفتوة والأحداث والشجعان.

هـ - الدراسات الاجتماعية، حيث تركز تفسير الموت وفقاً لنظرية التمدن

الاجتماعي وتركيزهم على الأسس القبلية للبنية الاجتماعية للمدن، وقد وقعوا بالتناقضات بسبب ضيق نظرتهم.

نلاحظ عدم استقلالية حقل التمدن العربي الإسلامي وتداخله وتشابكه. فالأثري المتخصص في الآثار الإسلامية يجد في المدينة العربية نموذجاً لدراسة تخطيط المدينة، والجغرافي يخضعها للدراسة السكانية والاجتماعية. وهناك تداخل الجانب التاريخي والجغرافي.

أما الاتجاه الثاني للدراسة عن المدن العربية الإسلامية من اختصاص المؤرخين، دراسة د. صالح أحمد العلي التي تناولت التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول للهجرة، إلا أن الاهتمام بالدراسات المقارنة للتمدن العربي في مراحلها الأولى لم تنل من اهتمام الباحثين العرب إلا قليلاً. ومن الدراسات الهامة دراسة د. ناجي معروف عن (عروبة المدن) حيث أبرز أصالة الفكر العربي في تخطيط المدن بأنواعها العسكرية والسياسية والاجتماعية والإدارية، وكذلك العوامل التي دفعت العرب إلى بناء المدن. ودراسة للسيد مصطفى الموسوي عن العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية.

المدينة في المعاجم اللغوية:

يرجع أصل كلمة مدينة في اللغة العربية إلى مدن. ومدن بالمكان أقام به. ومعنى مدن المدائن أي مصرها.

وأورد الفيروزآبادي وابن منظور أن المدينة تعني (الحصن) على أن يبني على أكمة من الأرض وتعدّ كل قطعة من الأرض يبني فيها حصن في اصطمتها مدينة وأن المدينة تعادل الأمة من حيث المقومات.

أما الزبيدي فيرجع أصل المدينة إلى كلمة (دّين) لأنها تتضمن معنى التملك.

وجاء في الحديث النبوي (يا مالك الناس وديان العرب).

وأصل الكلمة كما ورد في المعاجم اللغوية والأحاديث الشريفة عربي وليس آرامياً وعبرياً.

فالمدينة ليست مكاناً دونما شروط، إنما هي المكان الذي تقام فيه الحدود وجذرها اللغوي (دين) يرتبط بمسألة العدالة والقضاء والقانون ومن هنا، فإن العرب قد سبقوا (ماكس فيبر) في هذه الخصائص.

المدينة في القرآن الكريم:

المفهوم التمدني لكلمة مدينة أو قرية في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة الكهف ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ. قَالَ: لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾.

المدينة في الحديث الشريف:

قال رسول الله ﷺ: «يوشك المسلمون أن يحاصروا المدينة حتى يكون أبعد مساحلهم سلاح». ويقول ﷺ: «سيفتح عليكم الأمصار وستكون جنود مجندة تقطع عليكم فيها بعوث». وقال ﷺ: «سمعت بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر». وإن تشخيص المقدسي للمدينة متشابه مع الخصائص التي حددها الفقهاء.

خصائص المدينة العربية الإسلامية

مفهوم الفقهاء المسلمين في المدينة والمستلزمات الضرورية في المكان الذي يرتفع إلى مرتبة المدينة والمستلزمات هي (القضاء، القانون، والشرعية) والاستقلال المالي والاقتصادي مثلاً.

يصف المقدسي (الفسطاط) بأنه مركز إداري تجتمع فيه الدواوين:

١ - الرخاء الاقتصادي،

٢ - رخاء الأسواق،

٣ - كثرة الحمامات،

٤ - الشهرة العلمية.

وذكر ياقوت الحموي أيضاً وصفاً للمدينة بأنها قصبة تقع بالقرب من بلخ تدعى الأنبار فقال عنها (وهي قصبة ناحية جوزجان) وفيها مقام السلطان وهي أكبر من (مرو الروذ) ولها مياه وكروم وبساتين وبنائوها من طين، والتركيز على:

١ - مساحة المدينة.

٢ - محل إقامة السلطان.

٣ - توافر المياه.

٤ - البناء بالطين.

ويذكر المقدسي الصفات التي من أجلها صارت صحار قصبة عُمان فيقول:

١ - المساحة وأنها أجل من زبيد وصنعاء.

٢ - المسجد الجامع.

٣ - موقعها الاستراتيجي التجاري.

٤ - توافر الأسواق العجيبة والتي تضم السلع.

٥ - توافر المياه.

٦ - بناء الدور من الحجر.

٧ - المناخ الملائم.

ويقول ياقوت الحموي إن (البليد عبارة عن مدينة صغيرة) ووصف بلدة نهر الدير بالبصرة بتعبير البلد أو البلدة، ويشير إلى مفهوم المدينة التي ليست صغيرة الحجم مدينة واسط يقول عنها ياقوت الحموي: (بلدة عظيمة ذات رساتيق وقرى كثيرة وبساتين، وكان الرخص موجوداً فيها).

ركز الجغرافيون في تصنيف خصائص المدن العربية الإسلامية على ثلاثة خطوط هي:

(١) التركيز على الخصائص المطلوبة في المدن الساحلية أو مدن الأسواق التجارية بما فيها مدن الموانئ والمرافئ أو المدينة الفرضية تتمثل بالخصائص التجارية والتسهيلات الملاحية للسفن التجارية من كثرة الأسواق والفنادق

والحمامات والمسجد الجامع والمياه.

(٢) أكد الجغرافيون في خصائص المدينة بوجود المسجد الجامع والكثافة السكانية وتوافر السوق ووفرة الإنتاج الصناعي والزراعي.

(٣) لا بد أن تتوافر في المدن والتي تميز مدن الحصون خصائص السور الحصين متين البناء وإبراز دور القلعة وفوائدها للمدينة.

المنبر وأهميته في خصائص المدينة:

لم يتحدد وجود المنبر في المدينة وإنما في القرى الصغيرة والكبيرة أيضاً. ويمكن إضافته إلى خصائص القرية أو القصبية الكبيرة. لقد وجد المنبر خلال الفترة الإسلامية المبكرة كتعبير واضح للموضع، والمكان يكون في مدينة تمثل وحدة إدارية ويكون أساساً في تركيب المدينة.

تحديد الجغرافيين للقرية:

ميز الجغرافيون العرب بين تعبيرات المدينة أو البلدة من جهة، والقرية من جهة أخرى، وفقاً لحجومها واعتمدوا أيضاً على أسس واضحة تميزهم للقرية، وإن معيار الجامع والمنبر يعدان من المعايير الهامة في أوصاف تلك القرى في الوقت ذاته. وقد صارا ثانويين في أوصاف القرى الشبيهة بالمدن إلى الأهمية بحجم القرية لكثافة سكانها وتطور مواردها الزراعية.

هناك مستلزمات ركّز عليها العرب في تأسيس المدن والأمصار، هي:

١ - المستلزمات والمتطلبات العسكرية: لقد اتخذ العرب المشاركون في عمليات التحرير العربي الفتوحات الإسلامية ضد الساسانيين الفرس من جهة الشرق، وضد البيزنطيين من الجهة الشمالية والغربية، عدة مراكز عسكرية عبارة عن مخيمات ومحلات لإقامة وإمداد الجيوش العربية أثناء القتال وسميت الأمصار، وهي مراكز مستقرة (المدينة، الشام ومصر والجزيرة والبحرين والبصرة والكوفة)، وأن الخليفة عمر بن الخطاب توجهت اهتماماته العسكرية نحو البصرة. وذلك نتيجة العمليات العسكرية. وجه عتبة بن غزوان إلى هذه

المنطقة (سر الى ناحية البصرة وأشغل من هناك من أهل الأهواز وفارس وميسان عن إمداد اخوانهم على إخوانك) وتظهر المستلزمات والمتطلبات العسكرية نفسها والتي ساعدت على تأسيس البصرة والكوفة لاختيار وتأسيس مدينة الفسطاط والقيروان.

٢ - المستلزمات الاقتصادية والتجارية: أدرك العرب ان وظيفة المدن لم تكن عسكرية فقط. فقد تأثرت بالعوامل الاقتصادية والتجارية.

ويحدد الجاحظ بغداد والبصرة والفسطاط فيقول: الصناعة بالبصرة والخير ببغداد والتجارة بمصر وتصنف المدن إلى عدة أصناف:

(١) المدن التي تتوافر فيها المستلزمات الجغرافية أي الموقع الجغرافي مثل مدينة بغداد.

(٢) المدن التي تتوافر فيها المستلزمات الاقتصادية مثل مدينة سفاقس في شمال افريقيا ومدينة صعدة في اليمن وفيها سوق للتجار يقصدونها لابتياح الجلود والأحذية.

(٣) ومدن وظيفتها بكونها مدينة مرفأ برزت فيها عدد من المتطلبات التجارية وموقعها الجغرافي مثلاً فالجار وجدة مدينتان تقعان على البحر الأحمر.

(٤) وصنف آخر من المدن التجارية التي تتوافر فيها مستلزمات اقتصادية والتي دخلت فيها بعض صناعاتها وإنتاجاتها في التبادل التجاري، ومن هذه المدن البصرة ونيسابور.

موقف الجغرافيين من التبدلات في أحوال المدن

إن الجغرافيين العرب كانوا يشخصون العوامل التي ساعدت على تغيير أحوال المدن، ومن بين هذه العوامل العامل السياسي المتمثل باضطراب المدينة الداخلية أو بعض الخلفاء العباسيين وسيطرة البويهيين الديلمة على العاصمة وما حل بالمدينة من محن سياسية واجتماعية كانت من أسباب هجرة الأهالي من

بغداد وضرابها. وانتقال الخلافة من سامراء إلى بغداد ثانية قد ساعد على تضائل أهمية سامراء، وهناك مراكز تبدلت نحو الأحسن بسبب العوامل الاقتصادية.

البصرة:

أول مدينة عربية أسسها العرب مع مدينة الكوفة خارج الجزيرة العربية، وكلمة بصرة مأخوذة من الطبيعة الجغرافية لتربة المنطقة (بصرة: الحجر الأبيض الرخو). وذكر أن القائد العربي عتبة بن غزوان عندما مر بموضع المبرد عند توجهه لقتال الفرس وجد الكذان الغليظة فقال هذه (البصرة) أو تعني الأرض الطيبة الحمراء.

العوامل التي دفعت العرب إلى بناء البصرة:

إن القائد عتبة بن غزوان نزل فيها ومعه المقاتلون وضربوا فيها الخيام والقباب ولم يكن لهم بناء.

١- بمثل خيم عسكري

٢ - وعندما نجح عتبة في هجماته ضد الفرس كتب إلى الخليفة: (لا بد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا ويسكنون فيه إذا انصرفوا من غزوهم).

٣ - واشترط الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على القائد عتبة بما يجب أن يتوافر في الموقع (لا تجعلوا بيني وبينكم بحراً بل مصراًها).

٤ - كان الخليفة عمر (رضي الله عنه) يمانع في اتخاذ المدن القديمة كمخيمات يعسكر بها العرب لئلا ينشغل هؤلاء في حياة المدن فتفتر عزائمهم.

إن المسجد الجامع يعد أول وحدة عمرانية تأسست في البصرة وإن عتبة ابن غزوان هو الذي قام باختطاطه وكان للمسجد ثمانية عشر باباً، ومنارته أول منارة في الإسلام.

دار الإمارة: اتخذت دار الإمارة بعد تخطيط وتعيين المسجد الجامع وقد تم نقل دار الإمارة إلى قبلة المسجد الجامع من قبل زياد بن أبيه.

سور المدينة: الهدف الرئيسي من تأسيسه أغراض عسكرية لإمداد وتموين الجيوش العربية.

أيلة: الاسم الحقيقي أبو لوغوس مرفأً تجاري تأسس أثناء حملة الإسكان وأبعد تاريخياً من البصرة. إن الأيلة وشاطئ عثمان التابعين للبصرة قد اتسعا عمرانياً واجتماعياً على حساب مدينة البصرة.

الكوفة:

تعدّ من الأمصار الإسلامية القديمة واسم الكوفة من الاستدارة أو نسبة إلى جبل صغير أو اسم موضع في المنطقة اسمه (كوفة ابن عمر). وعند العرب ان تقول أعطيت فلاناً كيفة أي قطعة. اتخذ العرب الكوفة غرب نهر الفرات بمكان لا يبعد كثيراً عن مدينة الحيرة عاصمة المناذرة. ويجمع المؤرخون العرب، أن القائد سعد بن أبي وقاص يعدّ هو المؤسس الأول للمدينة وأنه قد اختار موضعها وأمر بتخطيطها، وقد بنى المسجد الجامع في الكوفة أول وحدة طوبوغرافية. وقد بنى دار الإمارة.

الجامعيين: مثني كلمة جامع لأن خالد بن عبد الله القسري والي الكوفة حفر نهراً حول هذه القرية وأطلق عليه اسم نهر الجامع قرب مدينة الكوفة وبنى خالد قصرأ له في هذه القرية.

الحلة: إن الأمير المزيدي صدقة بن يزيد يعد المؤسس الحقيقي لمدينة الحلة القرية من مدينة بابل المشهورة، وهي عاصمة بني مزيد الإدارية.

الفسطاط - العسكر - القطائع - القاهرة

المعروف الفسطاط (مصر) قد تضمنتها قائمة الأمصار الإسلامية واسم كلمة فسطاط ارتبطت بالخيمة التي اتخذها قائد جبهة مصر عمرو بن العاص وقد جاء في الأثر أن الرسول ﷺ قال: «عليكم بالجماعة فإن يد الله على الفسطاط».

اختيار موضع الفسطاط :

(١) ان عمرو بن العاص قد اتخذ خيمة من الشعر بمعنى فسطاط حينما كانت قواته تحاصر حصناً هو حصن قصر الشمع وان الخيمة هي موضع يجتمع فيه المقاتلون وتمثل مقر القيادة .

(٢) فتح العرب حصن مقر الشمع وتراجع العدو إلى الاسكندرية، وبعد مسيرة عمرو إلى الاسكندرية أهمل الفسطاط باعتبارها لا تمثل وحدة طوبوغرافية .

(٣) على أثر انتصار العرب على العدو في الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد، وانتقال عمرو بن العاص من الاسكندرية إلى الفسطاط أدى بالضرورة إلى انتقال كرسي الإدارة من الاسكندرية إلى الفسطاط . وأول ما اهتم به عمرو بن العاص إسكان العرب وبنى الناس الدور والمساجد وعرفت كل خطة باسم قلية وبنى عمرو بن العاص المسجد الجامع في الفسطاط وبنى دار الإمارة وسميت دار عمرو بن العاص .

العسكر :

لا تمثل العسكر مدينة منفصلة عن الفسطاط إنما كانت موضعاً متصلاً وأنه اتخذ معسكراً، وزاد من أهميته أن أحمد بن طولون والي مصر قد اتخذ في العسكر مسجداً جامعاً وبنى مستشفى ، ولقد نُسب إلى العسكر عدد من الأعلام المشهورين منهم محمد بن علي العسكري ، مفتي أهل العسكر بمصر وسليمان بن داود بن سليمان بن أيوب العسكري البزار .

القطائع :

يعود الفضل في تأسيس هذا المستقر والذي تحوّل بمرور الزمن ضمن مدينة الفسطاط إلى أحمد بن طولون بعد ولايته على مصر، وانتهت بالخراب بعد انتهاء أسرة آل طولون .

القاهرة:

ابتنى القائد الفاطمي جوهر الصقليّ أو الخليفة المعزّ نفسه مدينة القاهرة بعد استيلائه على مصر واتخذها قرية من الفسطاط وكانت له دوافع، منها:

- ١ - الدوافع الجغرافية: قربها من مدينة الفسطاط واتصاله بها.
- ٢ - الدوافع الاستراتيجية: أن القاهرة أول مدينة يصل إليها المسافر بعد خروجه من الشام.
- ٣ - عوامل عسكرية: أن جوهر الصقليّ أراد حين بناء القاهرة أن يكون (هو وأصحابه وأجناده بمعزل عن العامة، وكان ملوك بني عبد المؤمن قد جروا على هذه العادة في مراكش وتلمسان).
- ٤ - الدوافع الاقتصادية: اختيار موقع للمدينة أقرب إلى نهر النيل فإن جلها من المراكب ست وثلاثون ألفاً للسلطان والرعية تمر صاعدة إلى الصعيد ومنحدرة إلى الاسكندرية. وقد بنى جوهر الصقليّ جامع الأزهر سنة ٩٧١/٣٦١.

القيروان - العباسية - رقاده - صبرة - تونس

القيروان:

- هناك دوافع عسكرية وسياسية كانت تمثل دوافع مركزية في قرار عقبة بن نافع في تأسيس مدينة القيروان، فموضع القيروان تميز بما يلي:
- ١ - لا يفصله عن مركز القيادة العسكرية أي نهر أو بحر.
 - ٢ - متوافق مع متطلبات العرب أصحاب عقبة بن نافع إذ قالوا (نحن أصحاب إبل ولا حاجة لنا بمجاورة البحر).
 - ٣ - في بقعة زراعية فيها محاصيل تكفل غذاءً للمقاتلين العرب.
 - ٤ - توافر المياه من مصدرين: مياه الأمطار ومياه وادي السراويل.

مدينة العباسية :

ابتناها ابراهيم بن الأغلب بن سالم أمير الأغالبة بالقرب من القيروان وبني فيها قصره وقفل سلاحه وجنده، ويرجع إلى :

(١) مصادر المياه .

(٢) عوامل إدارية وعسكرية، محل إقامة الأمير.

(٣) عوامل فنية : بناها من الأجر.

مدينة رقادة :

تقع في ظهر القيروان وينسب بناء المدينة إلى الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني وأصبحت مقراً لحكمه وضربت من قبل الفاطميين .

مدينة صبرة :

قرية من مدينة القيروان الأم وكانت تسمى بالمنصورية ويرجع إلى المنصور ابن يوسف بن زيري بن بلكين وهو الذي تولى الإمارة الصنهاجية سنة ٣٧٣هـ - ٣٨٦هـ واستمرت كعاصمة بدلاً من القيروان وضربت من قبل الفاطميين .

مدينة المهديّة :

أسسها عبيد الله المهدي أول خليفة للفاطميين في المغرب وهي عاصمة الفاطميين ولأهداف عسكرية وسياسية عندما سيطروا على المغرب وهي باتجاه البحر، وقد نسب إلى المهديّة عدد من العلماء، منهم أبو الحسن علي بن محمد ثابت الخولاني المعروف بالحداد المهدي .

تونس :

مدينة عربية إسلامية أسسها بعد أن فتح المنطقة حسان بن نعمان الغساني أيام الخليفة عبد الملك بن مروان . وأشار البكري إلى أن المدينة تميزت بعدد من المنشآت العمرانية :

- (١) المسجد الجامع
- (٢) دار صناعة السفن
- (٣) وحدات عمرانية.

تعرضت تونس إلى عدة انتكاسات بفعل التطورات السياسية وهاجمها صاحب الحمار أبو يزيد مغلد الخارجي .

مدينة واسط

أسسها الحجاج بن يوسف الثقفي واختار هذا الموضع إقامة له ولجنده!

- ١ - أن يكون الموضع في كرش من الأرض .
- ٢ - أن يكون غير موبوء .
- ٣ - أن يكون على نهر جارٍ .
- ٤ - في منطقة زراعية تزرع فيها الحبوب .
- ٥ - فيها المسجد ودار الإمارة .

بغداد:

المدينة المدورة بنيت ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م كعاصمة على يد المنصور . وهناك عناصر تستلزم البناء :

- ١ - العنصر الجغرافي : وهي على الجانب الغربي من نهر دجلة .
- ٢ - العنصر التمدني : عند تأسيسها من قبل العرب لم تكن من المواضع المأهولة بالسكان .
- ٣ - العنصر السياسي .
- ٤ - العنصر الصحي .
- ٥ - العنصر العمراني : تسمية بغداد ترجع الى اللغة البابلية ، كانت مدينة مسورة بسورين ويحيط بها خندق وكان في سورها الخارجي أربعة أبواب .

خصائص بغداد:

تأخذ شكلاً دائرياً وقد بنى المنصور قصره فيها.

الكرخ:

ظهرت نواقص عمرانية في مدينة بغداد مما دفع المنصور إلى بناء منطقة الكرخ لسكن الأهالي والعامّة وهناك عوامل ضاغطة منها وفد بلاد الروم لزيارة الخليفة المنصور.

الرصافة:

يذكر ياقوت الحموي أن الخليفة المنصور أمر ابنه المهدي أن يتخذ معسكره في الجانب الشرقي المقابل للمدينة المدورة، وهو هدف عسكري وأطلق عليه الرصافة. وعسكر المهدي وبنى فيها قصر المهدي، بنيت الرصافة في الجانب الشرقي لنهر دجلة بالإضافة إلى قصر المهدي. بُني المسجد الجامع والمدارس مثل: المدرسة النظامية. وكذلك بنيت فيها الحمامات الكثيرة.

مدينة حلب

تسميتها نسبة إلى اسم موضع كان إبراهيم (ع) يجلب فيه غنمه، فالتعبيرات حلب حلبها أو مجلبها. وفي المدينة مشهد يقصده الناس يقال إن إبراهيم (ع) كان يتعبّد فيه. وهي مدينة قديمة اشتهرت بقلعتها وكذلك سورها وقد اختارها سيف الدولة الحمداني محلاً لإقامته ودخلها سنة ٣٣٣هـ وأخذ نجمها يرتفع سياسياً واقتصادياً.

مدينة الموصل

١ - مدينة آشورية قديمة في العراق اسمها نينوى تقع في الجانب الشرقي لنهر دجلة ودمرها البابليون عام ٦٠٨ ق.م. وتتمتع بأهمية زراعية ودينية واجتماعية، يوجد فيها دير النبي يونان ويونس وأن أصل كلمة (موصل) غير عربي. تأسست زمن ذي القرنين (؟) وتدعى نوادر شير وأول من اختطها وأسكنها العرب هرثمة بن عجرفة.

٢ - وفي رواية ثانية أن أصل الموصل عربي يرجع إلى موضع وصل بين الجزيرة والعراق.

قرطبة:

أصل كلمة قرطبة ترجع إلى مصدرين أولهما أعجمي والثاني عربي. في العربية يقصد بها العدو الشديد، وفي رواية أخرى قرطبة صرعة، يرجع تاريخها إلى الامبراطورية الرومانية وأن يوليوس قيصر هو الذي ابتناها. دخلها القائد العربي (مغيث) وهو غلام الوليد بن عبد الملك واتخذها قاعدة عسكرية ومركزاً إدارياً. وكذلك اتخذها الوالي أيوب بن حبيب اللحي للعوامل العسكرية والاستراتيجية فقد حاصرها القشتاليون ودمروا السور ودخلوها في ٢٣ شوال سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م وسقطت بأيديهم.

الزهراء:

أسسها وشيدها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٥ / ٦٣٦ في الشمال الغربي من قرطبة بدوافع سياسية للاستقلال عن جسم الدولة العباسية وكذلك الوقوف ضد التوسع السياسي والعسكري للفاطميين وتقوية الأسطول الأندلسي. تدهورت بعد وفاة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم الثاني المستنصر بالله سنة ٣٦٦هـ. وهناك عوامل سياسية أخرى منها حركة البربر في مدينة قرطبة، وكذلك تدهور الأمور المالية. كل هذه العوامل أدت إلى تدهور وتحول المدينة إلى حطام.

الزاهرة:

أسسها الحاجب المنصور محمد بن عبد الله بن عامر المعافري، الذي ساعدته عوامل سياسية وشخصية سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م وهي مقابل مدينة الزهراء وحلت محلها.

أهم المدن العربية في المشرق الإسلامي: حققت الجيوش العربية الإسلامية انتصارات عسكرية على الامبراطورية الساسانية والترك والتكوينات

السياسية السائدة في المشرق وآسيا الوسطى ، فوجدوا مدناً ومراكز دينية مجوسية كما اتخذوا إجراءات إصلاحية عمرانية وإدارية .

١ - اهتموا بتأسيس المساجد ،

٢ - وحدات عمرانية

٣ - توفير المياه .

من هذه المدن مدينة إصطخر في بلاد فارس دخلها عثمان بن أبي العاص في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وهناك مدينة نيسابور إحدى مدن خراسان تأسست أيام الملك سابور دخلها العرب بقيادة والي البصرة عبد الله بن عامر بن كريز أيام الخليفة عثمان رضي الله عنه ، فقد عمرها العرب من جميع النواحي ، وتخرج منها عدد من العلماء أمثال الإمام الحسين بن علي النيسابوري وأحمد بن محمد الميداني .

مدينة بخارى :

كانت من أعظم مدن بلاد ما وراء النهر ، من المدن القديمة وقد دخلتها الجيوش العربية في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وان سعيد بن عثمان بن عفان هو الوالي الذي عقدت له الولاية على المدينة وتحتوي على دار للإمارة .

وقد أسهم العرب في تطور الحضارة في المشرق الإسلامي لاسيما عند فتحهم المدن والمحافظة على معالمها وتوسيع فعاليتها وتنمية مواردها الاقتصادية ، وإضافة معالم عمرانية . وقد أسسوا أيضاً مدناً جديدة ، فمدينة قزوين مثلاً قد مَصَّروها وجعلوها مدينة أو مَصْراً وبني فيها سعيد بن العاص والي الكوفة المسجد ، ولما قدم القائد العربي موسى ٧٨٥ - ٧٨٦ إلى بلاد الري بنى مدينة موسى وعند فتح السند ومكران والديبل من قبل القائد العربي محمد بن القاسم بن الحكم بنى في الديبل المسجد الجامع وكذلك الخليفة المهدي ابن الخليفة أبي جعفر المنصور ابتنى مدينة الري وأطلق عليها اسم المحمدية وأسكن فيها الجند وبني فيها الجامع وابتنى أسد بن عبد الله القسري مدينة أسد آباد سنة ١٢٠هـ / ٧٣٧ .

شيراز:

مدينة مستحدثة أسسها العرب خلال حركة التحرر. والمقدسي له رأي في تسمية شيراز بشيراز بن فارس وهو مؤسس المدينة وأن العرب هم الذين مصّروا المدينة عندما افتتحوا إقليم فارس.

المنصورة:

من المدن التي أحدثها العرب في القرن الأول للهجرة وقد نُسبت المنصورة إلى الخليفة أبي جعفر المنصور أو نسبة إلى أحد العمال وهو منصور بن جمهور الكلبي ويرجع تأسيسها إلى منصور بن جمهور ويرجع نسبه إلى بني عامر بن عوف وأن سكان المدينة عرب، ولأن محمد بن القاسم الثقفي مؤسسها كان عربياً من ثقيف. وقد وصل إلى الموضع برفقته جيش عربي من أهالي البصرة والكوفة كما أن منظور وأخاه منصور بن جمهور كانا عربيين.

احتوت مدينة المنصورة على الأسواق العامرة واشتهرت بزراعة النخيل وقصب السكر حيث كانت بين المنصورة ومكران مياه وفيرة.

عندما تحدثنا عن الفتوحات العربية الإسلامية لهذه المناطق نجد أن الجيوش العربية الإسلامية لها إسهامات خالدة وواضحة في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية، فلم يهدموا المدن بل قامت إجراءات إصلاحية وعمرانية. وقد أسسوا مدناً جديدة لا زالت آثارها باقية حيث كانت تتمتع بمكانة وأهمية سياسية واقتصادية وحضارية في تاريخنا العربي الإسلامي.